مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم الإنسانية

المجلد (١) العدد (١)

٧٧-٦٤

مجلة أنساق

Middle East Institution of scientific Publishing

الثقافة المضادة وتمثلاتها في المسرح العربي مسرحية يوم الزينة انموذجا

م.م فيصل غازي شاكر الخزاعي

مديرية تربية كربلاء، وزارة التربية، العراق

أ.م.د عبدالله عبد عبدعلي

كلية الفنون الجميلة، جامعة البصرة، العراق

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نُشِرَ إلكترونياً في: ٢٠٢٠/٨/١٩

الملخص

تعد الثقافة المضادة من بين الثقافات المؤثرة في سلوك الفرد وما يرافقه من تغيرات حياتية تسهم في جعل الذات ان تقف بالضد من الثقافات السائدة او الهيمنة على نشر الثقافة لذا نجد ان الثقافة المضادة وعواملها المختلفة لها تأثير واضح في اساليب الكتاب المسرحيين الذين بنيت نصوصهم المسرحية عليها، والثقافة المضادة التي شهدتها بلدانهم وما رافقتها من ثورات وازمات وحروب وانقلابات سواء كانت داخلية ام خارجية ومدى تأثيرها على الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لتلك البلدان فضلاً عن تناول الثقافة المضادة في نص العربي المعاصر، بينما تكمن اهمية البحث والحاجة اليه من خلال دراسة ثيمات وموضوعات الثقافة المضادة ومدى تاثيرها على النص المسرحي العربي المعاصر وتضمن الفصل الاول هدف البحث الذي تركز على الكشف عن تمثلاتها الثقافة المضادة في النص المسرحي العربي المعاصر. وضم الفصل التي تحددت مكانياً في الوطن العربي وزمانيا في المدة بين ٢٠١٤ وموضوعيا بعنوان البحث وبعدها تحديد المصطلحات لغة اصطلاحا اجرائيا اما الفصل الثاني الاطار النظري وتضمن الفصل مبحثين عني الاول بالثقافة المضادة بين النظريات الثقافية واراء بعض المفكرين وعني المبحث الثاني باشتغالات الثقافة المضادة في النص المسرحي العالمي المعاصر، ثم المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري . تناول الفصل الثالث اجراءات البحث والذي ضم عينة البحث المتمثلة بمسرحية (يوم الزينة) بما يتلائم مع هدف البحث واعتمد الباحث المنهج الوصفي مستفيداً من مؤشرات الاطار النظري اداة للبحث في تحليل العينة ومن ثم نماذج العينة اما الفصل الرابع فقد جاء بنتائج واستنتاجات البحث، ومن ثم التوصيات والمقترحات وبعدها جاءت قائمة المصادر والمراجع واختتم البحث بمخلص اللغة الانكليزية.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، المضادة، تمثلات، النظرية الثقافية

Abstract

The counter culture is among the cultures that affect the behavior of the individual and the accompanying life changes that contribute to making the self to stand against the dominant cultures or dominating the spread of culture, so we find that the counter culture and its different worlds have a clear impact on the methods of playwriters whose theatrical texts are built upon, The counter-culture that their countries witnessed and the accompanying revolutions, crises, wars and coups, whether internal or external, and the extent of their impact on the social, political and economic reality of these countries, as well as addressing the counter-culture in the contemporary Arab text, While the importance of the research lies and the need for it through studying

the themes and topics of counter-culture and its impact on the contemporary Arab theater text, the first chapter included the aim of the research, which focuses on revealing its representations of counter-culture in the contemporary Arab theater text. The chapter included spatially in the Arab world and time in the period between 2014 and objectively with the title of the research and then defining the terminology language as a procedural term. As for the second chapter, the theoretical framework and the chapter included two topics on my first about counter culture between cultural theories and the opinions of some thinkers and on the second topic about the works of counter culture in the global theatrical text Contemporary, then the indicators that resulted from the theoretical framework. The third chapter dealt with the research procedures, which included the research sample represented in the play (ornamental day) in a way that is compatible with the aim of the research, The chapter also included research findings, including: And then the recommendations and proposals, and after that came the list of sources and references, and the research was concluded with a summary of the English language.

Keywords: culture, countermeasures, representations, cultural theory

الفصل الاول : الاطار المنهجي

مشكلة البحث

منذ ظهور اول تجمعات انسانية على وجه الارض والانسان يسعى الى اكتساب صفات انسانية جديدة يخالف بها السائد من ثقافته الشخصية بل تضيف الى معارضة واسلوب حياته شيء جديداً لانه الحياة تتطور حتى يصل الى مبتغاه، وما اكتسبه من ثقافة النار وركوب الزوارق وتعلم الطهي واستخراج المعادن وما قام به من تراتيل دينية اتخاذه خواطر يتقرب اليه هي صفات لاكتساب ثقافة مضادة لثقافته الفطرية السائدة في شخصيته الانسانية.

سعت اغلب الحضارات القديمة الى اكتساب ثقافات جديدة قد تخالف السائد الذي لديها، لذا سعت الحضارة الاغريقية باكتساب والافادة من الثقافة الرافدينية والمصرية وكونهما اقدم منها لاكتساب عادات وتقاليد تتوائم مع روح العصر كونها ثقافة تقف بالضد من ثقافة الحضارات الاخرى، اشتملت على الفن المسرحي تحديداً والشعر، حتى اصبحت سمة بارزة في هذا المجال، اما المسرح كان هو الاكثر نضجاً وتفوقاً بين كل تلك الثقافات من خلال الشواهد والارث الحضاري المسرحي الذي تركه الاغريق والاعلام البارزة في هذا المجال، والذي استفاد والعالم الحديث كثيراً من تلك التجارب الفنية المسرحية الاغريقية، كونها تمتلك قدرة اكتساب ثقافة مضادة لثقافتها السائدة.

المسرح احد تلك الثقافات التي تمتلك القدرة والفاعلية القوية في اكتساب ثقافات مختلفة من الاخر والتفاعل معها والتأثير المباشر في تغير الافراد واكتسابهم ثقافة مضادة لثقافتهم السائدة وسعى المسرح في القرن العشرين الى اظهار الجوانب الاشراقية لكثير من الحركات المناهضة للعنصرية وحركات اضراب الطلبة في مختلف بقاع الارض، وانشاء ثقافات مضادة مفتعلة كثقافة الهجرة وهي بصورة عامة تلازم الثقافة المضادة نزوعاً طبقياً عند اليسار الثقافي، وتعده رد فعل طبيعي للمهتمين طبقياً. لذا المسرح كحركة ادبية وفنية يدافع عن الحركات الشخصية لقيم الروحية ومواجهة المادية المستفحلة في المجتمعات الاستهلاكية ورفضها للمركزية الثقافية، لذا نجد المسرح قد انفتح على الشرق والمجتمعات الشرقية، مستلهماً ثقافة مضادة لمسرح وبقيمه السائدة المكتسبة من الاغريق.

يعد المسرح العربي من بين المسارح التي اكتسب الخصوصية في تشكيله، بالرغم من ان المسرح بوصفه العام هو تشكيل غربي، الا ان العرب قد اكتسبوه كثقافة مضادة لوجودهم المهمش، وردة فعل ضد المركزية وما اكتسبوه من ثقافة سائدة ضمن اطار الروحية الدينية والارث الثقافي الذي يعد الانفكاك عنه صعب، الا ان المسرح قد كسر كل تلك الصفات والقيود ليعلن عن ثقافة الضد من كل تلك المركزية الثقافية، منها ادرك الباحث ضرورة دراسة الثقافات المضادة من خلال المسرح في المجتمع العربي، وجاء بالتساؤل الاتي:-

(ماهي اهم تمثلات الثقافة المضادة في النص المسرحي العربي المعاصر؟)

اهمية البحث والحاجة اليه

تكمن اهمية البحث الحالي فيما يلي:-

١- تسليط الضوء على (الثقافة المضادة) في النص المسرحي العربي المعاصر.

٢- الكشف عن ابعاد (الثقافة المضادة) ومدى تأثيرها في النص المسرحي العربي.

٣- دراسة ثيمات وموضوعات (الثقافة المضادة) ومدى تأثيرها في النص المسرحي العربي.

٤- تفيد الدارسين في مجال علم الاجتماع والأدب المسرحي.

هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى: الكشف عن اهم مظاهر الثقافة المضادة في النص المسرحي العربي المعاصر

حدود البحث

المكانية: عمان

الزمانية: ٢٠١٤

حدود الموضوع: الثقافة المضادة وتمثلاتها في النص المسرحي العربي المعاصر في (مسرحية يوم الزينة).

الثقافة المضادة / اصطلاحاً

١- عرفها (سعد علوش) : بانها مصطلح حديث على اية ثقافة تحل محل الثقافة السائدة، وهي حركة ثقافية تعارض الثقافة السائدة وتعد رد فعل طبيعي للمهمشين[١]..

٢- عرفها (ايرك دونالد هاش): الثقافة المضادة هي الثقافة الفرعية التي تختلف قيمها ومعاييرها السلوكية اختلافا كبيراً عن القيم الثقافية الاصيلة المعبرة عن روح وتطلعات مجموعة سكانية معينة خلال فترة زمنية محددة. عندما تصل القوى المعارضة الى الكتلة الحرجة، يمكن للثقافة المضادة اشعال فتيل تغيرات عميقة. من ابرز الامثلة على الثقافات المضادة في اوربا وامريكا الشمالية[٢] .

٣- عرفها (ابراهيم مدكور): بانها "كل ما استثارة للفهم وتهذيب للذوق وتنمية ملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع وتشمل على المعارف، المعتقدات، الفن، الاخلاق، وجميع القدرات التي يهتم بها الفرد في مجتمعه وله طرق ونماذج عملية، فكرية، روحية، ولكل جيل ثقافة استمدها من الماضي، واضاف لها ما اضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية"[٣] .

الفصل الثاني: (الإطار النظري)

المبحث الاول : الثقافة المضادة بين النظريات الثقافية وآراء بعض المفكرين

تُعد القضية الثقافية الأساس الذي استقطب اهتمام الكثير من المنظرين والباحثين بغية الوصول الى وضع تعريف محدد لمفهوم الثقافة المضادة من خلال بعض النظريات الثقافية، قصد الوصول إلى الأسباب التي يقوم على أساسها التباين بين الثقافات والاختلاف في المستويات الحضارية، الامر الذي اسس لظهور الثقافة المضادة التي لم تكن في معزل عن التناول الفلسفي لدى بعض المفكرين، فقد تبلورت عدة نظريات واتجاهات تحدد الاختلاف بين الثقافة السائدة والثقافة المضادة على مختلف الاصعدة وبخاصةً في النصف الاول من القرن التاسع عشر .

أولاً : النظريات الثقافية

١ – النظرية التاريخية التخصصية

نشأ الاتجاه التاريخي التخصصي في أطار الدراسة النظرية للتاريخ الحضاري للإنسانية ؛ وعبر عن استمرار الاهتمام في استخدام التاريخ لتفسير ظاهرة التباين الثقافي للمجتمعات الإنسانية، وقد اقرت الذي اقر بأن عملية الانتشار الحضاري بدأت من مركز حضاري محدد ثم انتقلت عبر الزمان إلى أجزاء العالم المختلفة من خلال الاتصال بين الشعوب، ولتفسير الانتشار الحضاري لعناصر الثقافة ظهرت نظريتان أساسيتان في أوربا وهما:-

أ- النظرية الأولى ظهرت في إنكلترا وقد التي أحالت نشأة الحضارة الانسانية كلها إلى مصدر واحد هو الاحتكاك الثقافي بين الشعوب سواء عن طريق التجارة أو الغزوات أو الهجرة ؛ إذ انتشرت عبر تلك الطرق عناصر الحضارة واتسعت دائرة وجودها، اذ تؤكد على أن الحضارة الإنسانية نشأت وازدهرت على ضفاف نهر النيل في مصر القديمة منذ حوالي خمسة ألاف سنة قبل الميلاد تقريباً[٤] .

ب- أما الفريق الثاني يرأن الحضارة الإنسانية لها عدة مراكز حضارية أساسية في جهات متفرقة من العالم ونتيجة لإلتقاء تلك الجهات او المراكز نشأت دوائر ثقافية جديدة ادت الى تشكل الثقافة المضادة، اذ حدثت بعض الصراعات والتشكيلات المختلفة الأمر الذي يفسر أوجه الاختلاف عن تلك الثقافات المركزية[٥] .

٢- النظرية البنائية الوظيفية

ركزت هذه النظرية على دراسة وظائف الثقافات كلاً على حدة في واقعها وزمانها الحالي، فدراسة الوظيفة تعد دراسة آنية ترفض المنهج التاريخي ؛ إذ أن العلم فيها لا يهتم بتاريخ الظاهرة بقدر ما يركز على العلاقات القائمة بالفعل بين عناصر تلك الظاهرة ككل وعلاقتها بغيرها من الظواهر الأخرى؛ وهذا ما يُعد خروجاً على نظرية

---

[١] سعد علوش، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، ط١، (بيروت: دار الكتاب، ١٩٨٥)، ص٥٨.

[2] ينظر Eric Donald Hirsch. The Dictionary of Cultural Litcracy. Houghton mittin. ISBN that began Members of a cultural PROTEST THAT BEGAN IN THE u.s IN THE 1960. P63.

تم ترجمة هذا المصدر من قبل الاستاذ المساعد (مثنى مكي محمد علي) التدريسي في كلية تربية جامعة كربلاء، اختصاص ادب انكليزي، عضو في جمعية المترجمين العراقيين.

[٣] ابراهيم مدكور: المعجم الفلسي، (القاهرة: الهيئة العامة للشؤون المطابع، ١٩٧٩)، ص٥٨.

[٤] محمد رياضي، الانسان دراسة في النوع والحضارة، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٤)، ص١٧٩.

[٥] ينظر: المصدر نفسه، ص١٨٠.

التناول التاريخي للثقافات الامر الذي يُعد تأسيساً لثقافة مضادة، اذ أكدوا على الافادة من المماثلة بين المجتمعات الإنسانية والكائنات البشرية، بوصف ان ثقافة أي مجتمع تنشأ وتتطور في أطار إشباع الاحتياجات البيولوجية للأفراد التي تم حصرها في التغذية والإنجاب والراحة البدنية والأمان والاسترخاء والحركة والنمو[١] .

٣– النظرية المعرفية

كانت السلوكيات التي ينتهجها أفراد المجتمع، وما يحدث بينهم من علاقات على أرض الواقع، السبب وراء ظهور النظرية المعرفية التي تختص بدراسة الثقافة الإنسانية من خلال البحث في طرائق تفكير الناس وأساليب إدراكهم للأشياء والمبادئ التي تكمن وراء هذا التفكير والإدراك، ومن ثم الوسائل التي يستخدمونها للربط بين طرائق التفكير واساليب الادراك لكل فئة من فئات المجتمع، فمنهم يتشكل المجتمع ومن العدل التعرف على أرائهم فيها، فهذه النظرية تدرس مختلف الثقافات السائدة والمضادة، بحسب فهم كل شريحة مجتمعية وطريقتها في استنباط الاحكام من خلال التفكير بجدوى بقاء الثقافة السائدة او الخروج عليها بثقافة جديدة هي المضادة لها[٢] .

وهذا يؤدي الى عملية تسمى (الانسلاخ الثقافي) أي انتقال سمات ثقافية من حضارة مهيمنة الى حضارة مهيمن عليها قسراً؛ وهو ما يحدث اثناء الاحتلال والغزوات وتكون نتيجته تولد شعور ذاتي وواقعي بالنقص الثقافي .

فقد اجريت دراسة امريكية على مجتمع الهنود الحمر في اوائل الثلاثينيات من القرن العشرين ومدى تأثرها بالمستعمرين البيض من خلال احتكاكها بهم لاحظت أن الاضطرابات التي حصلت في الحياة الاجتماعية التقليدية عند الهنود الحمر، كانت نتيجة معاناتهم من صراع شديد بين الثقافة الوافدة وثقافتهم الأصلية، ولم يكن هدف المستعمرين البيض هو أجراء عملية تبادل بين الثقافتين وإنما كانوا يعملون على جعل الهنود الحمر يندمجون بثقافتهم بصورة متكاملة[٣] . وهنا تأتي الثقافة المضادة بكل تجلياتها عن طريق فرض ثقافة السيد على ثقافة العبد أي فرض ثقافة فوقية على ثقافة تحتية ؛ الأولى هي ثقافة المستعمِر والثانية هي ثقافة المستعمَر .

أما في أوربا فأن دراسة عمليات التواصل الثقافي مع الشعوب الأفريقية أحدثت فهما ثقافيا متغيرا، إذ كان مفاد تلك الدراسات هو إيقاع اللوم على الثقافة الغربية التي تسعى لإطلاق احكام مسبقة على الثقافات الأخرى متخذة من تلك الأحكام مبرراً لممارساتها الاستعمارية على تلك الشعوب[٤] . ويعني ذلك عند سيطرة نظام ما على مجتمع آخر فأنهم يواجهون ثقافة مضادة لثقافتهم سواءً كانوا مرغمين أو راغبين بذلك وهم أن شاءوا أم أبوا مرغمون على التأثر بتلك الثقافة وتسمى هذه العملية عملية (اكتساب الثقافة)، فما فعلته بريطانيا في افريقيا هو ترسيخ لثقافة مضادة للثقافة الأفريقية الأصلية ؛ الهدف منها الهيمنة والسيطرة على الشعوب الأفريقية سواء تم فرض هذه الثقافة المضادة بوعي الأفارقة او بدون وعيهم؛ إذ فرضت عليهم انماطاً سلوكية مغايرة للأنماط السلوكية الخاصة بشعوبهم .

أما في (فرنسا) خرجت افكار تؤيد وتدعم النسبية الثقافية ومناهضة النزعة الاستعمارية التي تنظر إلى التثاقف على أنه عملية تقوم على أساس من السيطرة، ورفضوا الفوارق الثقافية والاستعلاء الغربي على الشعوب الاخرى[٥] . لذا فقد وجدوا من الضروري أيجاد فكر جديد ينسجم مع هذه المستجدات الاجتماعية والسياسية والثقافية، يعبر هذا الفكر عن الثقافة المضادة الجديدة، منها نجد ان الثقافات المضادة استمدت افكارها من الكولونيالية وما بعدها كونها المؤثر الاساسي في تشكيل الثقافة المضادة[٦] .

ثانياً– آراء بعض المفكرين بالثقافة المضادة

تعد مشكلة الهوية الثقافية هي الشغل الشاغل ضمن طروحات اغلب المفكرين والقضية المركزية التي حاولوا شرحها وتفسيرها في ظل قوى العولمة والغزوات وضرورة حمايتها لتشخيص الواقع بلغة مفهومة او سرد العالم بصورة عقلانية او المساهمة في بلورة قيم مشتركة ومعايير تبادلية، وهذا ما سعت اليه الثقافة المضادة من خلال طروحات بعض مفكري هذا الحقل من الثقافة .

١ – انطونيو غرامشي[*]

---

[١] ينظر: حسين فهيم، قصة الانثروبولوجيا، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، ١٩٨٦)، ص١٦٣.
[٢] ينظر: عيسى الشماس: مدخل الى علم الانسان الانثروبولوجيا، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٤)، ص١٦٠.
[٣] ينظر: عيسى الشماس، المصدر السابق، ص١٥٢.
[٤] ينظر: حسين فهيم، مصدر سابق، ص١٤٩.
[٥] ينظر: المصدر نفسه، ص١٥٧.
[٦] ينظر: علي عبد الرزاق جلبي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، (اسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠)، ص١٠٦.
[*] ولد غرامشي عام ١٨٩١، وهو ايطالي الجنسية تابع دراسته في مدرسة دينية وحصل على الشهادة الابتدائية لكن ظروف حياته وعائلته المتواضعة اجبرته على ترك مقاعد الدراسة ولجأ الى العمل ولكنه ومنذ نعومة اضفاره عمل على نشر أول مقالاته في الصحيفة اليومية التي تصدر في (كاقلباري) تحت عنوان "لويند ساردا" ثم عاد الى دراسته وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩١١، وثم حصل على شهادة في الادب والحقوق عام ١٩١٨، بعدها اصبح عضواً في هيئة تحرير جريدة (ايفانتي) عام ١٩١٩ اصدر مجلة اسبوعية ثقافية اشتراكية (اوديو لوفوا) وفي عام ١٩٢٠ كتب وثيقة نقدية من اجل تجديد الحزب الاشتراكي الايطالي وعام ١٩٣١ انتخب بأول لجنة مركزية لمؤتمر (ليفورن) الذي شهد تأسيس الحزب الشيوعي الايطالي، وعام١٩٣٥ عاد الى ايطاليا اذ انتخب نائباً للجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الايطالي عام ١٩٣٦ ؛ حكم عليه وفي السجن كتب مذكراته (دفاتر السجن) واصيب بالسل وفي عام ١٩٣٧ اطلق سراحه لتدهور صحته فلم يمهله الموت اذ توفي في ٢٧ ابريل

تعامل غرامشي مع الفكر الماركسي الذي يعد المكون الاساسي لفلسفته السياسية ورؤياه الفكرية واشكالياته الثقافية، لكن لم يكن ذلك التعامل ايديولوجياً او حزبياً او اقتصادياً بقدر تعامله مع الماركسية بطريقة نقدية ترفض القداسة للحزب وهذا ما جعل (غرامشي) يصب جام غضبه على الظاهرة الستالينية التي حولت السلطة الماركسية ووضعت كل زمام الامور بيد شخص واحد اسمه (استالين) [١] . ومن هنا جاءت مواقف (غرامشي) المضادة والمتمسكة بالنزعة الانسانية الارادية الاخلاقية، لذلك كانت الماركسية لـ(غرامشي) منهجاً وعلماً ونظرية وليس انتماء حزبياً او سلطوياً ؛ فهو لم يكن منعزلاً عن عامة الناس، وكان يريد من الماركسية ان تكون نظرية ذات رؤية علمية ونقدية ومرشدة وموجهة للجماهير الغارقة في سبات الحس الشعبي[٢]. من هنا نرى ان (غرامشي) سعى الى ثقافة مضادة ضمن حدود الحزب الواحد (الماركسية) منتقداً إياها وجاعلاً من افكاره موقف الضد لما تنتهجه الماركسية كأفراد وكمنهج حزبي .

ويرى (غرامشي) ان النقد للحالة الراهنة — في عصره – لا يسقط من الحساب المصلحي والعقبات التي يصادفها اذ ان " خلق ثقافة جديدة لا يعني مجرد قيام شخص ما باكتشافات جديدة بل يعني ايضاً نشر حقائق اكتشفت من قبل نشراً نقدياً بحيث تصبح هذه الحقائق اجتماعية اذا جاز القول، وتجعل اسساً لأعمال حيوية وعناصر تنسيق وتنظيم ثقافي واخلاقي، واذا استطاع جمهور من الناس ان يفكر في الواقع الحاضر تفكيراً متماسكاً وموجزاً كان فعله هذا حدثاً فلسفياً اكبر اهمية واصالة من اكتشاف تحرزه عبقرية فيلسوف"[٣] . اذ ليس من المطلوب من المثقف ان يكتشف اشياء جديدة خارج مجتمعه قدر ما يكشف عن معالجات وطروحات جديدة لمشاكل قديمة وان يظهر الحقائق على السطح كما هي ويبدأ بنقدها وتقويضها لان اغلب هذه الحقائق تتصارع وتتناقض في وجدان المجتمع وتتناقض مع كل ما هو جديد وحديث فهو بذلك يعمل على ثقافة مضادة لكل قديم ويبحث عن ولادة ثقافة جديدة من رحم انقاذ ذلك القديم .

يؤسس (غرامشي) خطاباً سياسياً جديداً يتحرك بعيداً عن الاطر التقليدية للتفكير، فالخطاب السياسي الجديد يجب ان يكون نظاماً لا ان يكون فرداً حقيقياً ولا عنصر مجتمعي يبتدئ فيه اندماج وتلاحم الارادة الجمعية وتأكيدها النسبي في الممارسة السياسية والاجتماعية[٤]. لذا لا يركز (غرامشي) على الاشخاص قدر تركيزه على الاستراتيجيات التي تحرك المثقفين لتغير علاقات الآخرين بالواقع والاشياء ؛ وذلك لان المجتمع لا يمتلك القدرة الكافية على تحويل حياته دون وجود هؤلاء المثقفين، لذا يرى الباحث ان (غرامشي) سعى الى ثقافة مضادة بهيكلته الاجتماعية والسياسية وطبقاته العاملة التي دافع عنها ساعياً الى تغيير فكر مجتمعي كامل من خلال منظومته الماركسية ونقده اللاذع للبرجوازية الغربية .

ثالثاً: ادوارد سعيد[*]

اعتمد المثقفين الذين تم نفيهم او المهاجرين الى المدن الكبرى او العالم الغربي على ثقافة رافضة للخطابات السائدة، وسعوا الى كتابة خطاب مضاد للغرب مؤكدين حضورهم في ذلك العالم، بوصفهم منتمين الى هويات حضارية مختلفة ؛ ويعد (ادوارد سعيد) احد تلك الشخصيات المثقفة المستمدة لثقافتها من مدارس فكرية متعددة يجمع فيها بين التمرد على الخطاب المركزي الذي يصدره العالم الاول وعلى أي خطاب مركزي بأي شكل من اشكال الكتابة، محاولة منه لتفكيك الهيمنة الثقافية والكشف عن تحيزات العرق والجنس وآليات القمع والاستغلال، وتمثلات التابع في خطاب المتبوع، اذ يرى ادوارد سعيد انه " بوجود ارادة مضادة، لها دور في اللعبة طول الوقت، كونه يبقى في حاجة الى وسيلة او اسلوب لتصويرها، والارادة المضادة للناحية المأساوية في كل ذلك هي ان السياق لم يوفر حلا لمشكلة الارادة فعلياً "[٥]. فـ (ادوارد سعيد) يريد تجاوز الحدود قصد التحرر من العوائق التي قد يقع في شركها الناقد في العالم الثالث، والتركيز على كيفية تأثير الإمبريالية في مستعمراتها ومن ثم تأسيس محاور مركزية للنقاش تؤشر كيفية رد تلك المستعمرات على الخطاب الإمبريالي وتعرية ما هو مخفي فيه .

كما ان مفهوم ما بعد الكولونيالية لا يشير الى البلدان المستعمرة سابقاً التي تخلصت تماما من اثار المستعمر سواء ان كانت ثقافية او لغوية او اقتصادية او عسكرية او صناعية وكل ماله علاقة مجتمعية ؛ بل يمكن القول ان معظم تلك البلدان المستعمرة سابقا ما

بحضور اخته ودفنه في مقبرة روما ١٩٣٧. للمزيد ينظر: انطونيو غرامشي، شجرة القفذ والرسائل الجديدة، ط١، دمشق: دار التكوين (دمشق: دار التكوين للترجمة والنشر، ٢٠١٦)، ص٧، ٨.

[١] ينظر: دفيصل دراج، الماركسية بين العلم واللاهوت (ملاحظات حول دلالة (الدوغمائية)، مجلة النهج الماركسي، عدد (٢٤، السنة السادسة، ١٩٨٩)، ص١٩١.

[٢] ينظر: توني بينجيري، غرامشي فيلسوف الممارسة، مجلة المنار البيروتيه، العدد (٢٤-٢٥)، كانون الاول ١٩٨٦، كانون الثاني، ١٩٨٧، ص١٥٠.

[٣] احسان سركيس، دراسات عربية، مجلة المثقفون العرب والممارسة السياسية، العدد (١٢)، اكتوبر ١٩٨١، ص٢٧.

[٤] ينظر: توني بينجيري، مصدر سابق، ص٦٥.

[*] ادوارد سعيد: منظر ادبي فلسطيني ولد في القدس ١٩٣٥ التحق في المدارس الابتدائية والثانوية في القدس وفي القاهرة، تخرج متخصصا في الادب الانكليزي في جامعة برنستون عام ١٩٥٧، حصل على الماجستير من جامعة هارفارد، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٦٤، فاز بجائزة افضل ناقد حيث بدأ نجمه يسطع، بدا حياته استاذاً يشتغل في الجامعات الامريكية حتى استقر في جامعة كولمبيا، يعد ادوارد سعيد من اهم المثقفين الاجتماعيين في العالم.

[٥] ادوارد سعيد، السلطة والسياسة والثقافة : حوارات مع ادوارد سعيد، ترجمة : نائلة قلقيلي حجازي، ط١، (بيروت: دار الاداب للطباعة والنشر، ٢٠٠٨)، ص ٢١٣.

زالت خاضعة ثقافياً واقتصادياً للدول الكبرى بطرق اخرى ومتنوعة من قبل الاستعمار الجديد كما يلاحظ ذلك في بعض الدول كالهند والجزائر، وهذا المفهوم يسود في كل مجالات الثقافة المتأثرة ماضياً وحاضراً بثقافة المحتل[١] .

افاد (ادوارد سعيد) من تجربته كمواطن امريكي قادم من الشرق الاوسط ساعياً لفهم ايديولوجية الغرب ومخططاتهم، ومكنه ذلك من انجاز دراسة دقيقة حول علاقة الشرق بالغرب الاستعماري، إذ ادرك (إدوارد سعيد) تلك الايديولوجية ولم يتأثر بها بوصفه شرقياً نشأ في ظل مستعمرتين بريطانيتين (فلسطين ومصر)، اذ كانت دراساته الاستشرافية تعد محاولة لجرد اثار الثقافات المضادة التي كانت عاملاً مهماً ولدرجة كبيرة في حياة جميع الشرقيين، وهذا ما جعله يحتفظ بوعي نقدي في البحث التاريخي والثقافي والانساني .

وكانت انطلاقه (ادوارد سعيد) من هذه الفرضيات توضح ان هناك خطاباً يسعى للهيمنة وخطاباً آخر يحاول الخروج عليه وتفكيكه، مما ادى الى تكوين آيدلوجيا استعمارية مفادها ان من واجب الغرب ان يحمل النور او الحضارة والتقدم والحرية لأولئك الشرقيين المتخلفين في سائر المجالات، وهي خطابات مضادة غرضها الاول الهيمنة الاستعمارية على العالم الاخر، فكانت كتابات (سعيد) حول ذلك بمنزلة نقد مضاد او ما يمكن تسميته (الخطاب المهاجر المضاد) لكل النزعات الاصولية في فهم الثقافة والادب والنقد[٢] .

حاول (ادوارد سعيد) في تلك الخطابات ان يظهر ادب ونقداً جديدين ومضاداً لتفكيك منظومة ثقافة الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية بعد ان كان الأفارقة والاسيويون سواء العرب منهم أم غير العرب موضوعاً لعلم الانسان الغربي وللسرديات الغربية والنظريات التاريخية والتكهنات اللغوية الغربية في النصوص الثقافية الدليل السلبي على تنوع الافكار الاستعمارية في السيطرة الثقافية والفكرية على الاقل تطوراً، بالرغم من أن التاريخ يشهد على قدرتهم الخلافة في الآداب، وقدرتهم على أن يصبحوا قراء وناقدين لسجل المحفوظات الغربية[٣] .

ان تلك الطروحات التي جاء بها (سعيد) تفتح فضاء اوسع للجدل الخاص حول العلاقة بين الثقافة وتاريخ الإمبريالية، تشمل هذه الطروحات الخطابات الابداعية في الرواية والشعر اذ يقول (سعيد) في هذا السياق " ان الكتابات الاوربية على افريقيا والهند وبعض مناطق الشرق الاقصى واستراليا وجزر الكاريبي، التي تُعد جزء من مجمل الجهود الاوربية لحكم بلدان وشعوب نائية، واعتبرها لذلك مترابطة مع الاوصاف الاستشرافية للعالم الاسلامي"[٤]. فتلك الخطابات والانشاءات تعتمد على التنميط والاختزال وعكسها لصورتي الذات والاخر، وتعد الثنائيات الهندية المركز والهامش والذات والاخر كلام يتكرر في جميع نصوص الخطاب الاستعماري وهي تكريس للصورة النمطية السلبية عن الاخر وتأكيد مركزية الذات الغربية .

وفي هذا الاطار يرى الباحث ان هناك ارتباطا وثيقا بين الثقافة المضادة والإمبريالية في جميع الاجناس الادبية والثقافية في الرواية كنتاج ثقافي سواء في المسرح او الشعر وغير ذلك من الاجناس الاخرى، لذا يمكن ان يعد كل ما جاء به (ادوارد سعيد) من خطابات وسرديات يشكل نتاجاً معرفياً مضاداً ومتمرداً على الاخر تنسى فيها صورة الاستعمار وينسى فيها التفاوت الطبقي ؛ فالثقافة المضادة هنا كانت مجابهة للرؤية الثنائية في التفكير الغربي، وهذه الطريقة في النقد المتوازي تكشف المقاومة الثقافية ومبدأ ضروري من مبادئ الحوارية الثقافية .

المبحث الثاني : الثقافة المضادة في المسرح العالمي المعاصر الواقعية .

يعد (تولستوي)[*] من بين اهم الكتاب الروس والذي اشتغل على الانفتاح والتطور الفكري الثقافي الذي ساد العالم نتيجة التلاقح الفكري بين ثقافات تلك الدول امثال فرنسا وايطاليا والتي صدرت ثقافاتها الى باقي الدول لاسيما روسيا، ومن خلال ذلك التلاقح الثقافي استطاع (تولستوي) وغيره من الكتاب الروس أن يصور الواقع الروسي بكل ما يحمله من متناقضات، وهي انعطافة كبيرة لرسم ادب واقعي يتمظهر وفق رؤية محلية تحمل في طياتها ثقافات متنوعة ومتضادة، اذ عمد (تولستوي) الى نقد الواقع من خلال العمل على كتابة الاعمال الادبية بمختلف اجناسها والمسرحية منها منحدراً من الالمام بالشعور الانساني الذي يمكن ان يجعل المعادلة مشهد

---

[1] ينظر : B.A Shcroft, GGriff Lchs, and H. Tiffin the Empire writes Back, Theory and Practice in Post – colonial Literatures, London and new York, Routledge 1982, p:2.

[٢] ينظر: ادوارد سعيد، الاستشراق : المعرفة – السلطة – الانشاء، ترجمة: كمال ابو ديب، ط٢، (بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨٤)، ص ٥٨.

[٣] ينظر: ادوارد سعيد، الثقافة الامبريالية، ترجمة: كمال ابو ديب، ط٣، (بيروت: دار الاداب، ٢٠٠٤)، ص ١١.

[٤] المصدر نفسه، ص ١١.

[*] تولستوي: ١٨٢٨ – ١٩١٠ ولد في روسيا قرب مدينة (توالا) المدينة الروسية التأريخية، كانت ولادته وتربيته في خضم اسرة تعد من كبار الاقطاعيين النبلاء في روسيا وكان والده (الكونت نيكولاي) ايليتسش تتوي ووالدته هي الأميرة ماريا نيكولا يغنا، التحق (تولستوي) سنة ١٨٤٤ بكلية للغات الشرقية، ثم انتقل الى كلية الحقوق بالسنة التي تليها ومن ثم عاد ليدير املاك عائلته، وفي سنة ١٨٥٤ انتقل تولستوي الى الجيش وينال رتبة ملازم، للمزيد ينظر: ليو تولستوي، اناكارينيا، ترجمة: اميل بيدس، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٩)، ص ٨، ٩ وللمزيد ينظر: ليوي تولستوي، العذراء الريفية وبوليكوشكا التائب، ترجمة: رحاب عكاوي، (بيروت: دار الحرف العربي، ٢٠١٢)، ص ٩.

(تولستوي) اثناء كتاباته المسرحية جملة من التقلبات الفكرية والذهنية والثقافية، وخاصة التقلبات الدينية والعقائدية للديانة المسيحية مما ادى به الى التنقل في عموم اوروبا للبحث عن ثقافات اخرى وتلقي تعليمه في الجامعات الاوربية والبحث وراء الحقائق العقلية ونشر التعليم المضادة للمسيحية والكنيسة ليزيل عن عقولهم ايمان ابائهم كونه لا يؤمن بالرب والديانة المسيحية ولا حياة ما بعد الموت[١] اذ رفض الجانب الروحي للكنيسة بوصفها جسد المسيح، ليكون عقيدة دينية مركبة تحمل ثقافات متنوعة، اذ اعتمد في طروحاته هذه الجانب الانساني وطرق التعامل مع الانسان كون الكنيسة قد استبعدت الانسان وحولته الى ذوات مسيرة وفق ما تشتهيه الكنيسة ورجال الدين[٢].

اشتغل (تولستوي) على فلسفة (شوبنهاور) والتي تتعلق بفلسفة التشاؤمية كونه وعي شامل وعميق للعالم والحياة كذلك شغله مفهوم الارادة لدى (شوبنهاور) مما دعى (تولستوي) ايجاد مخرج للكثير من مشاكل الوجود به التي يعيشها الانسان اذ ادرك هذه المشاكل وحاول تجاوزها، مما ساعد ذلك الى امتلاك ثقافات متنوعة وشاملة تقف بالضد من ثقافته الشخصية التي امتلكها في مدينته[٣].

ان ما طرحه (تولستوي) من افكار حول مفاهيمه التي اكتسبها من الغرب بل انتقد الغرب وانتقد المادية الوجود به التي يسعون اليها والبعد عن الانسانية، بل قد اكتسب منهم بعض الثقافات والافكار التي تسهم بشكل جلي وواضح بخدمة الانسان الروسي وانتشاله من الواقع الذي الم به.

ان ما يمكن ان يكتسبه الانسان جمله من الثقافات المتنوعة والمختلفة والتي من خلالها تتشكل الثقافة العامة فثقافة الاخلاق ايضا من الممكن ان يكتسبها الفرد من الاخر وتشكل ايقونة للثقافات المضادة التي يكتسبها الفرد. لذا نرى ان (تولستوي) قد استفاد كثيراً في اشتغالات هكذا ثقافة والتي سعى من خلالها اصلاح مجتمعه الذي يعيش فيه كون الثقافة الاخلاقية ترتبط بالثقافات المجتمعية، منها سعى (تولستوي) الى انشاء مسرحه الاخلاقي وخاصة مسرحية النور يسطع في الظلام) الذي كتبها عام ١٩٠٢ اذا وضع تولستوي نفسه في شخصية (نيكولا سار تنسيق) متخذاً من العزلة والزهد سبيلاً لثقافة الجديدة. ان صعوبة ما شاهده (تولستوي) في حياته واثناء سفره الى اوربا جعل منه انساناً يدرك معنى الصواب، لذا كان توجهه نحو الزهد والعزلة وترك الناس سبباً لما اكتسب من ثقافات مضادة ضد ثقافة البرجوازية والراسمالية وتحقيق ما يجول في خاطره.

هنا نجد ان (تولستوي) قد تمسك بالمسيحية والانجيل ضد كل مدخلات الحياة كما وردت في الحوار الآتي:-

" الاب جيراسيم: كيف يمتلك أن تقول انك لاتؤمن بتعاليم الكنيسة؟ وبماذا يمكن ان تؤمن، ان لم يكن بالكنيسة؟

نيكولا ايفانوفتش: بالله وشريعته التي اعطينا اياها في الانجيل.

الآب جيراسيم: الكنيسة تعلم هذه الشريعة.

نيكولا ايفانوفتش: لو كانت تعلمها لامنت بها، لكنها تعلم الضد.

الاب جيراسيم: لايمكن للكنيسة أن تعلم الضد، لان الرب ذاته قد اقامها، وقد جاء (اعطيكم سلطاناً وشياطين الجحيم لايقدرون ان يغلبوكم)" [٤].

اشتغلت كثير من الفلسفات الحديثة على التشكيك بوجود الله والايمان به وذلك لما اصاب الكون والوجود من ويلات ودمار وقتل وانعدام العدالة الانسانية مما دعى كثير من الكتاب ومن بينهم (تولستوي) الى ان يتوجهوا صوب تصحيح المسار واعلان الثورة والضدية ضد هؤلاء المشككين بوجود الله وقدرته، قد يشوب الدين في نظامه التطبيقي الى ان التطبيق شيء والنظرية والكتب السماوية المرسلة شيء اخر، ان ما يحدث من خلل في النظام التطبيقي للدين يحدث نتيجة تحقيق بعض الغايات الشخصية التي تخدم مصالحهم من هنا ان (تولستوي) ليس ضد الدين ولا ضد تعاليم الله بل ضد تعاليم الكنيسة التي تطلق تلك التعاليم من خلال وجهات نظر الكهنة تماشياً مع رغباتهم، كون الكنيسة هي المكان الوحيد التي تنعكس فيه تلك التعاليم الدينية. من خلال هذه الحوارية نجد ان تولستوي يحاور بصفه الضدية كجانب معرفي تعليمي صفه الصراع داخل المسرحية

"نيكولا ايفانوفتش: وما وماذا نفعل الان اذن؟

الكاهن: سأذهب الى رئيس الاساقفه الذي سيمنحني، وان خائف جداً من ان يتقيشي الى دبر سلوفوكي، فكرت حينها بالهرب الى الخارج، وطلب مساعدتك، ثم غيرت رأيي"[٥].

اشتغل (تولستوي) في هذه المسرحية على التناقضات فالواقع عكس الطموح وان تغيير العالم بالنسبة له امر صعب، لذا كان متضاداً مع كل ما يدور في المجتمع ساعياً الى قضايا اخلاقية لكنه وجدها صعبة التحقيق فهذا ما شهدناه في هذه المسرحية التي سعى (تولستوي) من خلالها الى اظهار جملة من المتناقضات والمتضادات في المجتمع التي تؤسس الى ثقافة مضادة سواء كانت (لتولستوي) او لغيره

---

[١] ينظر: حلمي مراد، دم وخمر ليوستوي، ترجمة: محمد بدر الدين خليل، (القاهرة: مطبوعات كتابي، ب ت)، ص ٧، ٨.

[٢] ينظر: تتيانا نيكولا يفنا كوركينا، الموسوعة الثقافية ترجمة: تحسين رزاق عزيز، ط١، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠١٦)، ص ٧.

[٣] ينظر: ارتوشوينهاور، نقد الفلسفة الكانطية، ترجمة: حميد لشهيب، (بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠١٤)، ص ٣١، ٤٠.

[٤] تولستوي، مسرحية: النور يسطع في الظلام، (بيروت: الشركة الحديثة للطباعة والنشر، ١٩١٠)، ص ٧٨١، ٧٨٢.

[٥] تولستوي، مسرحية: النور يسطع في الظلام، مصدر سابق، ص ٧٩٦.

بعيداً عن الطرح الذي جاء به سواء كان دينياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً الذي يسود المجتمع.

مسرح العبث و اللامعقول

يتسنى للكثير من العاملين في مجال الادب والفن لهم ان يتسألوا حول ماهية الحياة؟ لذا عمد كثير من كتاب مسرح العبث للكشف عن عبث العالم ولا معقوليته، ويصبون جم غضبهم وستخطهم على العادات والتقاليد والثقافات السائدة في الحياة وعدم تقبلهم البديل من الثقافات المضادة، ان الوعي بالعبث لا يعيني الجانب المأسوي والتشاؤمي للحياة، لكن المأساة هنا تعني الهزل من هذا العالم الرهيب بكل ما فيه من خوف وعبث وضياع. واكبت ظهور العبثية وكتاب العبث سلسلة من الصراعات والحروب كالحرب العالمية الاولى والثانية وقد تسببت هذه الحروب بموت عشرات الملايين من الابرياء وذلك الصراع استمد منه بعض الكتاب الشباب ومن بينهم كتاب مسرح العبث واللامعقول افكارهم لتكون ثقافات مضادة لخزينهم الثقافي لذلك يعد" تعبير عن روح العصر الجديد المتميز بالحرية والقلق والاضطراب وعدم الاستقرار والبحث الدائم عن الجديد"[١]. ان ظهور كتاب العبث جعل من الانسان بتماس مع واقع الحياة حتى أصبح اكثر منطقية من غيره من الاتجاهات الفلسفية والمسرحية كونه بتماس مباشر مع الاحداث والم الانسان، مما اسهم في قيادة كتاب مسرح العبث الى التمرد على كل معطيات الواقع والذي يناشدون من خلال ذلك التمرد تغييراً جذرياً ليس فقط. بما يخص الثقافة المضادة بل وقوفهم بالضد من السلطات وافكارها فابدعوا بأعمالهم المضادة للسلطات سياسياً والواقع المجتمعي بالإضافة الى ضديتها للثقافات السائدة اذ يرى كاموا ان " المتمرد الذي يتحدى ويناضل دائماً ضد سلطة يراها تقوده الى تائج هي الأشد كارثية؛ وبين الثوري الذي يعاني احباطاً عدمياً ويلتمس سبيلاً لتغيير العالم وينجح في تولي السلطة"[٢] ان التضاد في الافكار لا يتعلق بوجود الانسان في هذا العالم بل هو وجودها معاً، لذا يعد الرابط الوحيد للتغيير هو التواجد الحقيقي للانسان في هذه الحياة ليدرك الحقائق ويشتق منها النتائج ليصل الى اليقين[٣].

سعى كتاب مسرح العبث او اللامعقول الى اكتشاف لامعقولية وعينية الحياة حتى تدرك المعقول منها، ومنها ندرك اننا نستطيع ان نبني قيم تقف بالضد من الافكار اللامعقولة، فهي محاولة للكشف وفهم العالم من حولنا، وان يبدوا في الوقت نفسه الاوهام التي من شأنها ان تدني الامال والتطلعات في هذه الحياة[٤] . نتيجة لذلك ظهر مجموعة من كتاب مسرح العبث او اللامعقول والتي حملوا على عاتقهم الكشف عن العالم والوقوف بالضد للامعقولية هذا العالم والتمرد عليه ومن بين هؤلاء الكتاب (البيركامور وبوجين يونسكو وغيرهم من الذين اظهروا الصور الحقيقية و المظهر الحقيقي للوجود.

يرى الباحث ان (بوجيت يونسكو) [*] قد اشتغل كثيراً على الكوارث التي اصابت الانسان والحروب التي المت في هذا العالم مما دعاه الى التمرد في نتاجه المسرحي والوقوف بالضد من سلطات الحروب وثقافاتهم التي ادمت الانسان والانسانية منادياً بحرية الفرد والتسلح بالافكار التي تجعل من الذات الانسانية الطريق لخلق الانسان الحر وهو بذلك يقف بالضد من حياة الانسان التي يكتفها الشقاق والتمزق.

اذ نجد ان اغلب اعمال (بوجيت يونسكو) المسرحية لاسيما مسرحية (الملك يموت) عام ١٩٦٢ ومسرحية (ميدية) عام ١٩٦٥ اللتان ناقش فيهما قضية وهي ضرورة الوقوف بالضد من ثقافة القتل وانتشار الاشلاء باعداد كبيرة، " ان الواقع كابوس لا يطاق، انظر من حولكم ماذا تجدون؟ حروباً ودماراً وويلات، واحقاد واضطهادات، والموت لنا بالمرصاد، لقد خلقنا لكي نكون خالدين ومع ذلك نموت. الامر مخيف ولا يمكن ان يحمل محمل الجد"[٥] فأما الافكار التي ولدتها الحروب والغزوات ساهمت بشكل كبير في نتاجه المسرحي المضاد للواقع خطي مسرحية الملك يموت تقول ماري " **ماذا اصنع لكي اهمية القدرة على المقاومة؟ انا نفسي أضعف وأحذر. لم يعد يصدقني، لم يعد يصدقني، لم يعد يصدق سواهم (للملك) تعلق بالامل رغم كل شيء، لاتفقد الأمل**"[٦].

---

[١] عبد الرزاق الاصغر، المذاهب الأدبية لدى الغرب (دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩)، ص ١٩٩.

[٢] رونالد ارنسون، كامي وسارتر، ترجمة: شوقي جلال، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، ٢٠٠٦،)، ص ١٥٦.

[٣] ينظر: البير كامي، اسطورة سيزيف، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، (القاهرة: دار المفكر، ١٩٦٤)، ص ٤٧، ٤٨.

[٤] ينظر: عامر محمد حسين، الموت في مسرحيات البيركامو، رسالة ماجستير غير مشودة، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، اشراف: أ. د ضياء شمسي، ٢٠٠٩، ص ٧١.

[*] يوجين يونسكو من مواليد ١٩١٢ م في مدينة سيلاتينية في رومانيا، من أب روماني وأم فرنسية، أخذته أمه الى فرنسا فتعلم اللغة الفرنسية، وفي عام ١٩٣٨ عمل على أعداد رسالة عن (أفكار الخطيئة والموت)، حيث كان يعاني من عقدة تسلط الاب، تأثر كثيراً بموت أخيه، وهذا سبب تكرار فكرة الموت في أعماله المسرحية، كتب العديد من الاعمال المسرحية منها – المغنية الصلعاء – الدرس – الكراسي – الخرتيت – شهداء الواجب – أميدية – الساكن – الملك يحتضر ولعبة الموت – وغيرها، كانت أعماله ثورة على المسرح التقليدي . للمزيد ينظر : محمد جمعة ومحمد حجازي، يوجين يونسكو، (مصر: دار الفكر، ب ت) ،ص ص٢٣-٣٣.

[٥] نعيم عطية، في مسرح العبث، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠)، ص ٥٠٤، ٥٠٥.

[٦] بوجيت يونسكو، من الأعمال المختارة بوجيت يونسكو، ترجمة: حمادة ابراهيم، (الكورجييت: وزارة الاعلام، ١٩٧٨)، ص ٦٣.

فهنا يواجه (يونسكو السلطة ويقف بالضد ومن ثقافتها عندما يواجه الملك حرب كونية ذرية شاملة تدفعه اليها زوجته القديمة فالحرب هنا هي العالم الراسمالي الرجعي القديم، والذي اعلن يونسكو تمرده وضديته لثقافة الرأسمالية، فكان التمرد من خلال زوجته الجديدة التي تدفعه للوقوف ضد الحرب وافكاره التوسعيه ممثلاً ذلك بالعالم القدامى الجديدة اذ ترى " مارجريت: (الملك) أقول: انك امرت بذبح أهلي، واخوتك الغرماء المنافسين وابناء عمومتنا وأحفاد عمومتنا واسرهم وأصدقائهم وماشيتهم وأمرت بأحراق ضياعهم"[١] .

تذهب (صليحه) في تحليل هذه المسرحية بالقول ان احداثها تدور حول اطر اجتماعية تأخذ بعداً دينياً، فهو يستخدم البعد الاجتماعي في تأكيد فكره شبه دينية، اذ جعل من صور الفناء المتداولة في المسرحية رمزاً للعدالة الذي يتلاشى من خلاله العقل والانسان ولذا فهذه المسرحية هي احتجاج وتضاد على بعض الاوضاع الاجتماعية وانتقاد بعض العلاقات الانسانية[٢] .

استمد (يونسكو) افكار مسرحياته من الخيال المفرط واللاواقع، اذ نجد في مسرحية (ميدية) قد اشتغل على الكوميديا وتضمنت افكارها على تشكيل وفق جملة من الاحلام والكوابيس قد تاخذ الطابع السريالي لقارئها علماً انها تنتمي الى العبث واللامعقول، كون ما شهدتها المسرحية من صور توحي بثقافات متنوعة تربط ما بين اكثر من مشهد قصوره الجنة المتنامية في داخل الغرفة المستمدة من الخيال المفرط ووجود هذه الجنة في داخل المنزل قد يرتبط بالخيانة الزوجية وعشق زوجته لصاحب هذه الجنة عملية القتل تأخذ طابع العبث او اللامعقول، " اميدية: انني اخلط كل شيء الاحلام مع الحقيقة، الذكريات مع التطورات... لم أعد اعرف اين اتأمن كل ذلك"[٣] .

فالمعاني المتنوعة والافكار المختلفة التي تضمنتها هذه المسرحية تدل على التنوع الثقافي الذي تشكل لدى (يونسكو) نتيجة الاستعارات الثقافية المتنوعة. فالثقافة المضادة هنا قد تشكلت نتيجة استحضار يونسكو لاكثر من اتجاه مسرحي في نص واحد فهذا التنوع يعد مخالطة ثقافية تقف بالضد من ثقافة المذهب الواحد او الصورة المسرحية الواحدة.

ومن بين اهم كتاب العبث او اللامعقول المفكر الفرنسي (البيركامو)[*] اذ يعد (كامو) من بين اهم الضمائر الاخلاقية والثقافة التي سادت القرن العشرين حاملا النزعه الانسانية في افكاره، اذ اراد ان يحرر الانسان من قيوده التي شكلتها السلطات والحكومات وكثير من الافكار والثقافات البالية والقديمة اذ دعى الى ثقافة ضدية لكل الثقافات القديمة وكسر قيود القوانين والقواعد التي سار عليها الانسان وجعلته لا يدرك بما يلوح في الافق، منها دعى (كامو) الى التمرد التاريخي والتمرد المينافيز يضي للانسان على واقعة فكتب مسرحياته ضمن اطر متضادة الافكار والثقافات اذ نجد مراحل انتقال افكاره من فلسفة العبث الى التمرد ومن ثم الى الجمع ما بين العبث والتمرد كل تلك الانتقالات هي محاولات فكرية ضدية تناقض احداهما الآخر حتى جمع ما بين العبث والتمرد جاعلاً من ذلك الاندماج خلاصة افكاره المتضادة اذ عبر عن آرائه ثبتت لاحقا.

"انه زائل الأهمية، كما اعترف في مقدمته للجز الأول من (وقائع). ويصدق هذا الوجه خاص على بعض المقالات التي التمرير مباشرة..... الا ان الاحداث التي يعالجها تلت كثير ما تكون عالمية المغزى: كالقنبلة الذرية، والحرب الباردة، وكوريا، ومشكلة الاستعمار في مدغشقر او الجزائر، ومعسكرات العمل الاجباري في روسيا، وانتفاضة العمال في المانيا الشرقية، ثم بعد مدة في الجر واحداث الثورة الجزائرية"[٤] . ان هذا التضاد الفكري الذي سعى اليه (كامو) ليس محاولة لوضع ثقافة فلسفة اكثر من محاولته لنقل شعور الانسان والاحساس المؤلم لكل ما يدور في العالم، اذ نجد في مسرحية المجانين اذ جمع فيها كل الضديات الثقافية التي جاءت بها اسطورة سيزيف وبعدها رواية الغريب وثم مسرحية سوء تفاهم ومسرحية كاليكاولا ضمن فلسفة العبث ومن ثم انتقاله الى الانسان المتمرد ورواية الطاعون ومسرحية العادلوت وحالة حصار ضمن فلسفة التمرد اذا جاءت مسرحية المجانين جمع ضدياته الثقافية، اذ جمعت ما بين الضد من الحكومات الجائرة والثورة عليها ويقدم لنا الجمال والسعادة ويأخذ الانسان مكانه في هذا العالم[٥] .

ان الثقافة المضادة في هذه المسرحية هو الوقوف بالضد من المجتمع الروسي في عهد الانتقالات بين العالم القديم والعالم الحديث الذي حمل العقل على كاهله محرراً العبيد متفتحاً على العالم الرأسمالي داخل المجتمع اقطاعين اذا وضح (كامو) في هذه المسرحية

---

[١] المصدر نفسه، ص ٧٥.

[٢] ينظر: نهاد صليحه، المسرح بين الفن والفكر، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٥)، ص ٨٢.

[٣] اوجين يونسكو، اميديه، ترجمة: دولت محمد حسن، (القاهره: الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٥)، ص ٨٦.

[*] البيركامو ١٩٣١ – ١٩٦٠) ولد في مدينة (موندوفي) في الجزائر ينتمي الى اسرة عمال زراعيين من اب فرنسي وام اصل اسبانية، قتل ابوه عام ١٩١٤ اهتم كثيرا بالادب والمسرح، مارس السياسة، انضم الى الحزب الشيوعي وعمل في المقاومة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية عرف بمراحل تطور فكره متنقلا من العبث الى التمرد على الواقع المرير اصابه المرض في السابعه عشر من عمر وصاحبه حتى مماته توفي في حادث سير عام ١٩٦٠للمزيد ينظر: كوفر كروز اوبرايت، البيركامو، ترجمة: عدنان كيالي (بيروت: المؤسسه العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢)، ص٥، ١٠.

[٤] جرمين بري، البيركامو، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٨)، ص ٦٢، ٦٣.

[٥] ينظر: البير كاموا، مسرحية المجانين، ترجمة: اسماعيل المهداوي، (بلا مكان: بلا طبعه، ب ت)، ص١١.

طبيعة المجتمع الرأسمالي في روسيا وكيف يتبعون لنفسهم شرعية الاستهتار بالآخرين وبدمائهم، اذ ربط (كاموا) هنا الحرية بالجنون وهي حرية فردية ذاتية ينفذها الانسان سبيلا لخلاصة والبحث عن السعادة المنشودة، اذ اظهر كاموا في هذه المسرحية جملة من المصدر المتضادة في الواقع المجتمعي ما قبل وما بعد أي ما قبل الثورات وبعدها وهذا ما دونه في كتابه الوجه والقفى الذي لم يتممه بسبب وفاته والذي يخلق (كاموا) من خلاله الحرية الفردية والاحتجاج ضد البرجوازية[1].

بيير[*] :.... ومن حسن الحظ اننا ستغير هذا كله.

ستيبان: من؟

بيير: نحن الاخروق. الشر العاديون سعيد ضع هذا العالم. نحن المنقذون.

ستيبان: هل كزم انك بهذا الشكل تقدم نفسك للناس مكان المسيح؟ فلتنظر لنفسك اذا!

بير: لاتصرح. سوف تدمر كل شيء. لن نترك حجراً على حجر وسوف نبدأ من جديد. واذ ذاك، ستكون المساواة"[2].

ان اشتغالات كاموا هي دعوة صريحة للانسلاخ والتجرد من كل القيم والعادات المجتمعية والاعتماد على حرية الفرد وصياغة قانون الشخصي منقلبا على قوانين الطبيعة فهو هنا مجيباً على كل متناقضات الحياة ولا معقولية الوجود بعد ان وجد لاشرعية سيطرة البرجوازيين على الحياة الاجتماعية للفرد مما حدى به ان يكون متمرداً مناهضاً لمعنى الحياة العادية فهو بذلك حملته معطيات الحياة جملة من الثقافات المضادة التي اسس على وفقها ثقافته الخاصة في كتابة (الوجه و القضى) ومن ثم في مسرحية المجانين.

لذا يرى الباحث ان المستقلين في الادب المسرحي العبثي قد اسسوا لثقافتهم نتيجه وجود ثقافات مضادة قد تم استلها مهما من الواقع المجتمعي الذي يحيط بهم وخاصة لما لاحقت هؤلاء الكتاب واخص بالذكر (يونسكو، بكين كامو) والتي رافقت مسيرتهم الكتابية جملة من المعطيات السياسية والاقتصادية والتي اثبتت على وفقها حروب عالمية (الاولى والثانية)، اسهمت هذه الظروف وبشكل فاعل ومؤثر على تكوين ثقافة مضادة.

غيرت من واقع ثقافة وكتابات هؤلاء الكتاب مما نتج عنه اتجاه جديد في القراءات المسرحية اغنت الثقافة العالمية بها.

اهم ما اسفر عنها الاطار النظري من مؤشرات

١- حاول الاستعمار وبشتى الوسائل بث ثقافته الخاصة مستعيناً بسلطته العسكرية والاعلامية، وان اي خروج او تصدي لثقافة المحتل تُعد احدى الثقافات المضادة .

٢- ان ظهور التقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي كان له الاثر البالغ لنشوء ثقافة مضادة يتبناها الشباب، بالضد من الثقافة السائدة في المجتمعات .

٣- غالباً ما تتعرض الثقافة المضادة للرفض ومن ثم اذابتها وامتصاصها من قبل الثقافة السائدة.

٤- ان الثقافة المضادة قد تنشأ أحيانا نتيجة الاحتكاك بين شعبين يسود أحدهما على الاخر اذ يتمسك كل شعب بقيمه الثقافية الاصلية ويتجه بشكل عدائي الى اعادة تعبيد طرق الحياة سواء في الواقع او في الخيال على طريقته الخاصة، بالرغم من عدم قدرته على تحطيم القوة التي تقيده .

٥- شكلت سمة الشك في المسرح الانكليزي وبالتحديد عند شكسبير صورة تعطي القدرة على التفكير والمخالفة والتمرد على فكر معين او ثقافة ما فهي افكار تقف بالضد من الثقافات السائدة .

الفصل الثالث

نموذج (١) : مسرحية يوم الزينة

الكاتب: د. امنة الربيع

سنة النشر: ٢٠١٤

ملخص المسرحية :-

تقوم مسرحية (يوم الزينة)[3] للكاتبة العمانية د. آمنة الربيع، على فكرة معاناة المراة في المجتمع العربي ومحاولتها لمواجهة اشكال الاستغلال الذي يلحق بها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والجسدي، فالمؤلفة قد اختارت شخصيات نسائية من دول عربية مختلفة يشكلن تركيبة بلاد الشام والخليج، والمغرب، وافريقيا، ف(زبيدة) من اليمن خبيرة تصميم ملابس و (يارا) من لبنان خبيرة مكياج (ونرجس) و(هداية) من السودان مصففة شعر ونقش وحناء يجتمعن للعمل كخبيرات في تصميم الملابس والمكياج

---

[1] ينظر: د عامر محمد حسين، مصدر سابق، ص ١٥٦، ١٥٧.

[*] بيير بورديور (١٩٣٠ – ٢٠٠٢) عالم اجتماع فرنسي، افكاره اخذت تغيراً العلوم الانسانية والاجتماعية منذ منتصف الستينات، اصدر كتاب الورثه عام ١٩٦٤ مع (جون – كلود ياسرون) وكتاب اعادة الانتاج ١٩٧٠ مع المؤلف نفسه اهم بالانتاجات الثقافية والسيطرة الاجتماعية، انتج اكثر من (٣٠) كتاب ومئات من المقالات والدراسات في علم الاجتماع والفكر النقدي منها (اجتماعيات الجزائر ١٩٥٨، الورثة الطلب والثقافة ١٩٦٤، الاجتثات ١٩٦٤، فن متوسط مع اخرين ١٩٦٥، حب الفن مع اخرين ١٩٦٥، جزائر الستينات ١٩٧٧، اكس العملي ١٩٨٠، درس في الدرس ١٩٨٢، اشياء معقولة ١٩٨٥، قواعد الفن ١٩٩٢، في التلفزة ١٩٩٦ وغيرها. للمزيد ينظر: بيير بورديو و د. فاكونت، اسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاسي، ترجمة: عبد الجليل الكور، (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٩٧)، ص ٩.

[2] البير كاموا، مصدر سابق، ص ١٦٢، ١٦٣.

[3] آمنة الربيع: يوم الزينة، نص مسرحي ..الجمعية العمانية للكتاب والادباء، ط١ (لبنان: الانتشار العربي، ٢٠١٤).

واكسسوارات وتنظيف بشرة وتصفيف شعر ونقش حناء في صالونات للتجميل تملكها الست (زمردة) التي تلعب دور (الام المقاتلة) في المسرحية، ويبدو القصد من هذا التجميع من بلدان عربية مختلفة هو توحيد اهتمامات المراة بجسدها في دوال متقاربة مع اختلاف ظروفهن وعذاباتهن ومعاناتهن وفقا للاختلاف في مكوناتهن النفسية والثقافية والاجتماعية، ومن جانب آخر هو الكشف عن النظرة الواحدة للمراة في المجتمع العربي على اختلاف البلدان العربية، فهؤلاء النسوة يتعرضن لاستغلال مالكة الصالونات (الست زمردة) وعدهن مصدر ثراء ووجاهة لها، غير مبالية بعدد ساعات العمل المتواصلة وعدم احساسها بالارهاق الجسدي والفكري الذي تتعرض له النسوة العاملات مستغلة قضية ابتعادهن عن الأهل وهروبهن من بلادهن، وحين يتولد الاحساس بالاستغلال من قبل العاملات يندفعن الى تنفيذ مقترح اعلان الإضراب عن العمل وتحديد ساعات العمل والاهتمام بوضعهن الصحي، الا ان معرفة الست زبيدة بخطتهن تبادر الى مواجهتهن واتهامهن بشتى النعوت وتأمر بوضعهن في سجن أعدته داخل الصالون، ووضع نساء مسلحات من حاشيتها ليقمن بالحراسة والمراقبة، فيقمن العاملات باستمالة الحارسات بالكلام اللين والاستيلاء على الاسلحة واجبار الحارسات على دخول السجن، وحين تعلم الست زمردة بذلك تبادر الى تغيير خطتها في التعامل معهن، وتقترح وضع ورقة اتفاق جديدة يضمن للعاملات حقوقهن، وتشترط العاملات حصولهن على شيكات بعد الانتهاء من خدمتهن في الصالونات مع ضمان وصولهن الى بلدانهن، الا ان هذه المكيدة كانت لاجل الاستحواذ على الاسلحة ومنعهن من تنفيذ ماخططن له، وبعد الاطمئنان الى الست زبيدة التي تأخذ الاسلحة وترمي اليهن بالشيكات الباطلة لادعائها بانها قد وقعت تحت الاكراه والجبر، وتبادر الست زمردة الى استدعاء رجل الامن الذي يتلو عليهن لائحة الاتهام الباطل بالدعارة والسمسرة، ويطلب منهن فتح الباب الذي اغلق دونهن، وتأبى العاملات فتح الباب الذي سيقابله رجل الأمن بالكسر والقبض عليهن .

تحليل المسرحية :-

يحيل العنوان (يوم الزينة) الى النص القرآني الذي ذكر فيه يوم الزينة وهو اليوم الذي تمت فيه واقعة مواجهة النبي موسى عليه السلام مع السحرة الذين جندهم فرعون لاثبات بطلان الآيات التي واجه بها موسى الفرعون، وتحديدا آية العصا، فقد ذكر هذا اليوم في القرآن الكريم في سورة طه الآية ٥٩ (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) وهو يوم عيد المصريين ونوروزهم وتفرغهم عن اعمالهم، ولعل في الفضاء الدلالي للعنوان إشارة الى مواجهة خبيرات التجميل ل (زمردة) صاحبة الصالونات في أيام الأفراح التي تقام وقت الزواج وتكدس الزبائن من النساء المدعوات لهذه الافراح ليظهرن بمظهر جميل من خلال زيارة صالونات التجميل للزينة، وتعرض الخبيرات الى ضغط في العمل المتواصل والساعات الطويلة التي يقضينها في تجميل النسوة المدعوات الى حفلات الأعراس، وليمتلك العنوان بعده الدلالي فقد وجد النص احالته الى واقعة راكزة في ذاكرة المتلقي العربي المسلم، وبعد معرفة المتلقي بدلالة العنوان فإنه سيسعى الى ربط احداث المسرحية بالعنوان بعده عتبة اولى للدخول الى النص المسرحي وايجاد قرائن بين الأحداث ودلالة العنوان وفق ما عرفه المتلقي عنه ودلالته في النص القرآني .

يتصدى نص مسرحية (يوم الزينة) الى قضية تحرر المراة العربية من منظومة الأفكار والثقافة السائدة المكرسة لمعاملة المراة في المجتمع العربي معاملة دونية وينظر لها بعدها عورة وغالبا ماتكون مصدرا من مصادر تلويث سمعة العائلة والقبيلة، ولذا فإن النص قد اختار اربع فتيات من بلدان عربية مختلفة موزعات مابين الشام والخليج العربي وافريقيا ليؤكد وحدة معاناة المراة العربية الخاضعة لجملة من التابوهات المقيدة لحريتهن والكابحة لقدراتهن لتوفير امكانية مساهمتهن في بناء المجتمع الذي عانى ويعاني من شدة التخلف عن ركب الحضارة العالمية بفعل هذا التهميش والاقصاء لدور المراة في المجتمع، وبذلك فإن النص يتبنى عملية فضح تلك الثقافة التي تمت وفقها تربية وبناء الشخصية العربية منذ قرون طويلة، وإزاء هذه المهمة فإن النص يتراصف مع الجهود التنويرية الأخرى لتشكيل جبهة مضادة او ثقافة مضادة هدفها إشاعة الأفكار المقوضة للثقافة السائدة عبر النص، وتبدى ذلك منذ العتبة الثانية للنص وهو الإهداء الذي وجهته الكاتبة الى (البائسات في كل مكان) وهو خطاب جمعي الى النسوة البائسات اللواتي يؤكد النص وجود حالة البؤس عند عدد كبير من النسوة اللواتي يعانين من عوامل وظواهر البؤس في حياتهن، واذا ماعلمنا بأن جميع شخصيات النص المسرحي هن من النساء وكذلك كاتبته هي امرأة فإننا سنكون ازاء نص انثوي بإمتياز ليشير الى جملة من القضايا التي تعاني منها المرأة العربية المعاصرة وبرؤية إمراة وهي الكاتبة، بما في ذلك طرف الصراع المقابل لخبيرات التجميل اللواتي شكلن الطرف الرئيسي في معادلة التضاد، على أن ما كانت تمثلة (الست زمردة) هو حالة الاستغلال الذي تتعرض له العاملة من قبل مالكة الصالون التي تتمتع بتشعب علاقاتها مع الدولة وألاجهزة الأمنية وغيرها من العلاقات التي تضمن لها الحماية وبسط سلطانها على الصالونات والعاملات فيه، ولعل ذلك يمثل واحدا من طرفي معادلة التضاد الثقافي، فالعاملات في طرف هذه المعادلة يشكلن الثقافة المضادة لثقافة السيدة زبيدة التي تحاول تكريس عبوديتها وامتلاكها حتى للعاملات واستخدام العنف المسلح في ترويض العاملات وبما يضمن لها تلك السلطة والسيطرة، وفي الوقت الذي يشير فيه النص صراحة الى طبيعة هذا الصراع فإنه على نحو آخر يلجأ

الى الكشف عن ثقافة أخرى فاعلة في المجتمع العربي تلك هي ثقافة تهميش دور المراة ومصادرة حقها حتى في ابسط المشاعر وهي عاطفة الحب وحرمانها من الاقتران بمن تحب، تلك الثقافة التي تمردت عليها العاملات وبسببها هاجرن من بلدانهن لكسب العيش والمال لحل مشاكلهن العائلية والاجتماعية، الا انهن يقعن فيما بعد في براثن الاستغلال الذي يمحي وجودهن الجسدي والانساني، وفي محاورة زبيدة مع الزبونة يدخل النص الى الكشف عن تأريخية العباءة السوداء التي تتلفع بها عادة المراة العربية:-

(زبيدة :- عمرنا ماكنا نلبس العباية السودة، لبسناها بعد الاستقلال ...عمتي قالت لي.

الزبونة :- استقلال ايش؟

زبيدة :- يقولوا لما العسكر حررت بلدانها من العدو تفرغوا يبنوها ويعمروها وجابوا مع الاستقلال العباية، ترى العباية صناعة رجالية ..تصدقين؟

عمتي رقية المحامية خبرتني)[*]ص ٣١

فالمحاورة الآنفة تكشف عن موقف القوى التي حررت البلدان مارست سلطتها ضد المراة بإجبار المراة على ارتداء العباية التي تحيل الى المجتمعات التي تنظر الى المراة بانها عورة وغير فاعلة وينبغي ابعادها عن اي نشاط اجتماعي وان كانت هناك ضرورة لظهورها اجتماعيا فينبغي ان ترتدي العباءة السودة، ولعل اشارة ان (العباية) هي صناعة رجالية تؤكد سلطة الرجل وتحكمه في الوضع الاجتماعي للمراة ومكانتها الهشة فيه، الا ان النص يمتد الى خارج الشخصيات ليخلق شخصية ايجابية متنورة وهي (رقية) عمة زبيدة التي كانت نموذجا ايجابيا وتتبنى ثقافة مضادة لثقافة يمثلها والد زبيدة الذي يرفض أن تكمل ابنته دراستها الجامعية الا ان رقية -- وهي محامية -- تتمكن بمنطقها من اقناعه بالقبول، كما انها صارت مصدرا لضخ مزيدا من الافكار والرؤى الايجابية على سبيل مناهضة الثقافة الاجتماعية البالية للأب في عقلية زبيدة .

الا ان اللوحة الرابعة من النص يلقي الضوء على السيرة الذاتية لكل من الشخصيات، وتتبدى أهمية هذه اللوحة في معرفة الظروف الاجتماعية التي كانت الشخصيات تعيشها في ظل هيمنة ثقافة لاتسمح للمراة ان تتصرف وتفكر اكثر من مايحدده الرجل ويريدة، وكل تصرف خارج هذه المنظومة ينعت بالخروج على الاعراف والتقاليد، وبمعنى آخر خروج على ثقافة الانساق التي يحددها المجتمع ويخضع لها الافراد، فتبدا التونسية (نرجس) بالحديث :-

(نرجس :- وصلني حبيبي لمحطة القطار..وبقيت نستنى معاه ونخزر له ونعانقه ونبوسه.. كان يبوسني في عيني ويقولي ما توخريش في الإتصال ردي بالك يضحك عليك راجل وتحبيه.. والا نذبحك..وأمي كلامها يرن في وذني ردي بالك على شرفك، تاجنا هو شرف بنتنا، ما تخليش الناس يتكلموا ويقولوا بناتنا ماهمش متخلقين ومتربين .. وجيت لهنا ونسيت بجيتي المسرح..) ص ٣٨

ويتضح من خلال حديث (نرجس) انها هاجرت من اجل الحصول على عمل يتعلق باختصاصها كخريجة فنون كما وعدها ابو احد زملائها في مسقط الا انها لم تجد العمل في احدى القنوات التلفزيونية فلم تجد امامها الا استثمار معرفتها بفن الإكسسوارات وتنظيف البشرة لتعمل مجبرة في صالون السيدة زمردة، اما الامر الآخر وهو المهم فهو ان قيمة المرأة كإبنة وحبيبة وابنة اسرة تتعلق بمدى حفاظها على تربيتها وأخلاقها وعدم الانجرار وراء المغريات التي تكون سببا في سقوطها الأخلاقي، وتواجه المراة بخلاف ذلك بالذبح والنبذ والبراءة، وازاء ذلك فان بنية الخوف ستسيطر على المراة باعتبارها عورة في كل مكان تذهب اليه، اما (زبيدة) خبيرة تصميم الملابس اليمنية الهاربة من بيت عمتها بعد اقتناع ابيها بارسالها الى مسقط قرب عمتها لاكمال دراستها فتتحدث :-

(زبيدة :- سامحني يا ابه ... وسامحيني يا امي..وسامحيني ياعمتي.. ماكنت أشتي أسوي اللي سويته..بس يا ابه انت ماتفهم ..ماتستوعب (تضحك) والله كلام عمتي رقية مثل الذهب.. كيف اقنعت أبي يرسلني عندها أغير جو؟ وكيف ماقدرت تقنعني ابقى معها، وهربت في الباص ..(تعنف نفسها) انت مجنونة يازبيدة..والله لو عمتي قالت لأبي أني هربت أيقتلها ويقول البنت سوت العار .) ص ٣٨

فقد كانت عمتها رقية تضخ في راسها الافكار حول المراة والحريم والتحرر بشكل مستمر

(لاتفكرين بطريقة ابوش، ترى العباية مش واجبة، والخمار مش لازم ..بس الحريم يستفدن منها كثير)ص ٣٩

وهنا يبدو اثر ثقافة تكريس حرمة المراة واضح بعدم اعتبار العباية والخمار من التوصية الشرعية وبمعنى آخر ليس له علاقة بموقف ديني وانما هو ثقافة مجتمع تكرست عبر زمن طويل، وكذا الأمر بالنسبة لأي محاولة استقلال المراة عن اسرتها ورغبتها بالحرية في اختيار العمل ومكانه انما يعد من المحرمات التي تستوجب القتل والنبذ على الرغم من عدم وجود وجوب شرعي بالتحريم .

اما (يارا) اللبنانية خبيرة المكياج فإنها تكشف وضعا آخر يتعلق بمعاملاتها كجسد يلبي رغبات الرجل متى مايريد .

---

[*]ستتم الإشارة مباشرةً إلى رقم الصفحة في المتن بعد كل حوار تم اقتباسه من نص مسرحية يوم الزينة.

(يارا الى جانبها الموديل – بانزعاج) ولك خلاص بكفي تبويس.. يلعن حريشك..(تضبط من شعرها وهندامها –– بحزن) مابتعرف شو يعني أترك لبنان وعالمي كله وسافر منشانا ..ولك حياتي كلا ضاعت بسببه هيدا التافه البغيض؟ ...انا هون بالخليج وانت هنيك ببيروت (نفس مختلف وبصوت امراة اخرى) يارا من سنة ١٩٧٥ م وأهلنا مسافرين..وعايشين في اختبارات صعبة ....كان لو شنقوني ومت ودفنوني اريح لك بدل ما تعيشي هالعذاب (يارا بصوتها) ايه بتعذب وبدي أتعذب لأنك أختي الكبيرة ولأنك طيبة ..(للجمهور) تركت بيروت تا جيب مصاري وطلعك من السجن ..(ترجع للموديل) والله ماصار بينا شي بيعيب ..هو كان عم يحاول معي، بس أنا كنت عم صده ..بعرف ان (جنان) كانت بتحبه، بس هو كلب ونذل وخاين ويستاهل الذبح.. ياريتك ماسممتيه)ص ٤٠

ويتبين من خلال البوح الذي افضت به (يارا) انها كانت متهمة بعلاقة غير شرعية مع زوج اختها جنان الذي كان يتعامل معها برغبة تافه وحقير، وكانت تصده دائما رافضة تصرفه، وتؤكد بان لم يحدث بينهما مايشين، الا ان اختها بعد معرفتها بمحاولاته هذه تقدم على تسميمه والتخلص منه فتودع السجن مما اضطر يارا للسفر لجمع المال الكافي لإخراجها من السجن .

وتتبدى في الحوار السالف مساواة معاناة المراة بين البلدان العربية وهو مايشكل موقف الثقافة السائدة في المجتمعات العربية، وضرورة مواجهتها بكل الطرق لتقويضها، وفي الوقت الذي لم تتفق فيه الخبيرات على تشكيل الاتحاد فإن النص يطرح موقفا أكثر جدية عبر حديث زبيدة،

(زبيدة :– أنا مع يارا ومع نرجس ومعش، اللي ينقصنا مش المكان، لأن المكان اللي بنشتغل فيه موجود... ينقصنا اتخاذ موقف بالإجماع ..والموقف اللي نعلنه للست زمردة هو الإضرابعن العمل مرة واحدة وبصوت واحد .

يارا :–هيك بتقطعي رزقنا ..ولو..

زبيدة :– اسكتي انتي يا اخت يارا، امس اشتغلنا حتى الساعة ٩ الصباح وما احد قال شيء، وقبلها دوامنا دوام متواصل خمس أيام وما أحد قال شيء، وصار لنا اكثر من مرة ننام داخل الصالون وما احد قال شيء .)ص ٥٢

وبين رافضة لقبول رأي (زبيدة) الجريء والشجاع والذي حول مسار موقف العاملات الى مناقشة وضعهن المزري في الصالون تشير زبيدة الى موقف نعده هو مايشكل رؤية النص الفكرية .

(زبيدة :– بين ابصراتكن تراجعتن ..ترى الدولارات تروح وتجي لكن انسانيتنا اذا راحت من فين بنجيبها؟) ص ٥٣

ففي هذا الاضراب ومسوغاته يتبدى تأثير العمة رقية في تبلور وعي (زبيدة)، اذ ان ما طرحته من رأي حول ضرورة الاضراب يعد موقفا مضادا تماما لحالة الاستغلال الذي تتعرض له الخبيرات، كما ان تأكيدها على أن الدولارات ليست كل شيء وانما ضرورة تحقيق القيمة الانسانية للمراة لا يمكن معادلتها بأي ثمن هو مايشكل موقفا وثقافة مضادة لثقافة استغلال المراة واغرائها بالمال مقابل استغلالها والقبول بأي اجراء يحط من كرامتها الانسانية، وأزاء هكذا موقف من العمل واصرار الخبيرات على اعلان الاضراب فإن السيدة زمردة تقف بجدية وعنف ازاء الخبيرات اللواتي تصفهن بالبلطجيات والخائبات ..ولم تجد بدا من اصدار الأمر بسجنهن ووضعهن تحت المراقبة المسلحة، ويشكل هذا التصرف من قبل السيدة زبيدة وعصابتها المقاتلات هو الدفاع عن منظومة ثقافية راسخة في المجتمع العربي، وكذلك يعد جوابا صريحا ومواجهة لأي اجراء مضاد لثقافة السلطة السائدة، وامتد هذا الموقف العنيف من قبل زمردة الى لجوئها الى المؤسسة الأمنية التي غالبا ماتحميها لتلقي القبض عليهن بتهمة الدعارة والسمسرة، لتتخلص منهن مؤكدة سهولة الحصول على خبيرات كثيرات يأخذن مكانهن، ولعل هذا الإجراء لم يكن بعيدا عن توقعات الخبيرات اللواتي اقتنعن بموقفهن المؤكد لإنسانيتهن بعيدا عن مبدأ الحصول على الدولارات وهذا بحد ذاته يعد تكريسا لثقافة نسوية مضادة لحالات الاستغلال النسوي في المجتمع العربي، ولعل في الجملة الأخيرة التي ترددها الخبيرات يتركز الموقف النهائي لنضال المراة وتخليق ثقافة مضادة،

(المزينات نعا بحزن وقهر وغضب :–– الإبن ضد أبيه والزوج ضد الحب والفقر ضد الحب والسلطة ضد الحب ..(تتكرر الجملة حتى تخفت)) ص ٩٢

ومع ترديد هذه الجملة يسمع صوت الرعد ..ويبدأ هطول المطر اشارة الى بدء عهد يحاول ترسيخ تأريخ متراكم للنضال النسوي العربي ضد كل اشكال الاستبداد والاستغلال وهذا ماتمكن النص من الافصاح عنه، ليصطف الى جانب العديد من النصوص الأدبية العربية والمسرحية خاصة لتكون مفردات جديدة من مفردات الثقافة المضادة .

الفصل الرابع

النتائج

١– أن الثقافة المضادة قد وقفت بالضد من التقاليد السائدة لكثير من المجتمعات والذي نتج عن صراع الاجيال وبين المقدس والانساني الواقعي وهذا ما شهدناه في (يوم الزينة) .

٢- ان السلطان السياسية والدينية هي المهيمنة والناتجة لثقافة الضد وتبناها، وكل ثقافة تعارض هذه المؤسسات هي ثقافات مضادة، كما في مسرحية (يوم الزينة)

٣- ان التجانس بين الشعوب ينتج عنه انتاج ثقافة مضادة بالرغم من ان كل شعوب يتمسك بقيمته الثقافية الاصلية، الا انه يتجه الى تعبير طرق الحياة الى ثقافة تقف بالغد من ثقافته السائدة كما في المسرحيات (ويوم الزينة).

٤- ان صفة الشك ساهمت وبشكل فاعل في انتاج ثقافات مضادة لتعطي القدرة على التفكير والمخالفة والتمرد على الواقع او ثقافة المركز وهذا ما وجدناه في مسرحية (ويوم الزينة).

الاستنتاجات

١- تعد الثقافات المضادة قوة تقف بالضد من كثير من العادات والتقاليد السائدة.

٢- ان المؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية هي كيانات ساندة وناتجة للثقافات المضادة.

٣- شكلت التقنيات الحديثة ظاهرة مهمة من خلال لتواصل الاجتماعي في تشكيل ثقافة مضادة تقف بالضد من الثقافات السائدة .

٤- اعتمدت الثقافات المضادة على ثقافة الرفض والتمرد على كل الثقافات المهيمنة .

٥- تعد الثقافة المضادة ثقافة تواصلية لمحاربة التهميش والاضطهاد والاقصاء.